السنة للإمام

أبي نصر السجزي

الأندلسي

رحمه الله

ت٤٤٤

إعداد وترتيب وتهذيب

وشرح

أبي يحيي

سامح بن محمد بن أحمد

عامله الله بفضله

أولا:

في بيان السنة ما هي؟ وبم يصير المرء من أهلها؟

إعلموا رحمكم الله أنّ السنة في لسان العرب هي: الطريقة فقولنا: سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني: طريقته، وما دعا إلى التمسك به ولا خلاف بين العقلاء في "أن" سنّة الرسول عليه السلام لا تعلم بالعقل وإنما تعلم بالنقل.

فأهل السنة: هم الثابتون على اعتقاد ما نقله إليهم السلف الصالح رحمهم الله عن الرسول صلى الله عليه وسلم "أو" عن أصحابه رضي الله عنهم فيما لم يثبت فيه نص في الكتاب ولا عن الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم رضي الله عنهم أئمة، وقد أمرنا باقتداء آثارهم، واتباع سنّتهم وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى إقامة برهان. والأخذ بالسنّة واعتقادها مما لا مرية في وجوبه.

قال الله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} ، وقال: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ} وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي عضّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإنّ كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة "

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : "من خالف السنّة كفر "

ثانيا: الدعوى لا تقبل إلا بنص صحيح

وإذا كان الأمر كذلك فكلّ مدع للسنّة يجب أن يطالب بالنقل الصحيح بما يقوله، فإن أتى بذلك عُلِم صدقه، وقبل قوله، وإن لم يتمكن من نقل ما يقوله عن السلف، علم أنه محدث زائغ وأنه لا يستحق أن يصغا إليه أو يناظر في قوله.

ثالثا: طُرق استدلال أهل البدع

وخصومنا المتكلمون معلوم منهم أجمع ، اجتناب النقل والقول به بل تمحينهم لأهله ظاهر، ونفورهم عنهم بين، وكتبهم عارية عن إسناد بل يقولون: قال الأشعري، وقال ابن كلاب، وقال القلانسي وقال الجبائي فأقل ما يلزم المرء في بابهم أن يعرض ما قالوه على ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإن وجده موافقاً له ومستخرجاً منه قبله، وإن وجده مخالفاً له **رمى به** .

رابعا:

الفارق بين أهل السُنة وأهل البدع

ولا خلاف أيضاً في أن الأمة ممنوعون من الإحداث في الدين ومعلوم أن القائل بما ثبت من طريق النقل الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يسمى محدثاً بل يسمى سنّياً متبعاً، وأن من قال في نفسه قولا وزعم أنه مقتضى عقله، وأنّ الحديث المخالف له لا ينبغي أن يلتفت إليه، لكونه من أخبار الآحاد وهي لا توجب علماً وعقله موجب للعلم، **يستحقّ أن يسمى محدثاً مبتدعاً، مخالفاً**، ومن كان له أدنى تحصيل أمكنه أن يفرق بيننا وبين مخالفينا بتأمل هذا الفصل في أوّل وهله **ويعلم أن أهل السنّة نحن دونهم وأنّ المبتدعة خصومنا دوننا**. وبالله التوفيق .

خامسا:

التحذير من أهل البدع

في ذكر شيء من أقوالهم ليقف العامة عليها فينفروا عنهم ولا يقعوا في شباكهم.

قد صنف غير واحد من المتكلمين من المعتزلة والكرامية في فضائح الأشعرية، والكلابية، كما صنف هؤلاء في فضائح الآخرين أيضًا.

والكل مخالف للسنة وطريقة أهل الأثر ما يفتضح به عند التأمل. وأهل الأثر لا فضيحة عليهم عند محصل. لأنهم لم يحدثوا شيئاً وإنما تبعوا الأثر، ومن ادعى في الأثر فضيحة بعد الحكم بصحته، لم يكن مسلماً .

ويقولون أن المخالف من أصحاب الحديث، وأهل الأثر، لا يبلغ عقل كثير منهم معرفة العقليات ولا يفهمونها، فإن كل واحد منهم ينبغي أن يخاطب على قدر عقله. وفي ضمن هذا إخفاء المذهب عن قوم وإظهاره لآخرين، وهذا شبيه بالزندقة.

وبهذا الفعل منهم دخل كثير من العوام والمبتدئين في مذهبهم لأنهم يظهرون له الموافقة في الأول **ويكذبون بما ينسب إليهم حتى يصطادوه**، فإذا وقع جروه قَليلاً قليلاً حتى ينسلخ من السنة ، وكان أبو بكر بن الباقلاني من أكثرهم استعمالاً لهذه الطريقة وقد وشح كتبه بمدح أصحاب الحديث واستدل على الأقاويل بالأحاديث في الظاهر، وأكثر الثناء على أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، وأشار في رسائل له إلى أنه كان يعرف الكلام، وأنه لا خلاف بين أحمد والأشعري وهذا من رقة الدين، وقلة الحياء.

سادسا:

الفارق بين شيوخ الهدى ، وشيوخ الضلالة

في بيان أن شيوخهم أئمة ضلال ودعاة إلى الباطل وأنهم مرتبكون إلى ما قد نهوا عنه ، لما زعم عوام مخالفينا: أنهم موافقون للأئمة، متبعون لهم، احتجنا أن نشير إلى أمر الأئمة، وإلى معنى الإمامة في العلم، ليعلم مَن المستحق منهم للاتباع، ومَن الواجب هجرانه.

إعلموا أرشدنا الله وإياكم أن الإمامة هي التقدم ..

فأئمة قد أثنى الله عليهم خيراً قال: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} . وقال تعالى: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} .

وأئمة قد أثنى الله سبحانه عليهم شرا فقال: {وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ} إلى آخر الآية . وقال: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ} فلما علم أن الأئمة على ضربين: أئمة حق ممدوحون، وأئمة ضلال مذمومون .احتجنا إلى أن نبين أحوال الضربين **ليتبع المحق ويهجر المبطل.**

فأئمة الحق: هم المتبعون لكتاب ربهم سبحانه، المقتفون سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، المتمسكون بآثار سلفهم الذين أُمروا بالاقتداء بهم.

وعلومهم التي صاروا بمعرفتها وجمعها والتقدم فيها أئمة لغيرهم:

القرآن ومعرفة قراءته وناسخة ومنسوخة، وأحكامه، وفيمن نزل، والعلم بمحكمه ومتشابهه، والأخذ بالآيات المحكمات منه، والإيمان بالمتشابه.

ثم الحديث، وتبيين صحيحه من سقيمه، وناسخه من منسوخه، ومتواتره من آحاده، ومشهوره من غريبه، وما تلقته الأمة منه بالقبول، وما تركوا العمل به، وما يجب اعتقاد ما فيه، ومعرفة علله وأحوال رواته.

ثم الفقه: الذي مدار الشريعة على ضبطه، وهو مستنبط من الكتاب والحديث، وطلبه فرض، وأحكام أصوله التي شرحها متقدموا الفقهاء ، دون ما أحدثه المتكلمون منها ومزجوه ببدعهم ،

فإذا تقدم واحد في هذه العلوم، وكان أخذه إياها ممن علم تقدمه فيها، وكونه متبعا للسلف مجانبا للبدع حكم بإمامته ، واستحق أن يؤخذ عنه ويرجع إليه ويعتمد عليه.

ثم يلزمه في الأداء: التحفظ من الزلل، والتحرز من الإحداث والتوقي عن مجاوزة ما أحاط به علمه، وقبول ما يتجه له من الصواب، وإن أتاه ذلك ممن هو دونه، والتواضع لله سبحانه الذي من عليه بما علمه، واللين لمن يتعلم منه، والجري على طريقة من تقدم من العلماء في التورع والتخوف من العثرة والعلم بأنه ليس بمعصوم وأن الذي صار إليه من العلم يسير، وإن حرمه خلق الله كثير .

سابعا:

هجران أهل الزيغ

ومن زاغ عن الطريقة وفاوض أهل البدع والكلام، وجانب الحديث وأهله استحق الهجر إن والترك وإن كان متقدما في تلك العلوم.

ثامنا:

أصول الفرق

وأما أئمة الضلالة فالمشركون، والمدعون الربوبية، والمنافقون ثم كل من أحدث في الإسلام حدثا، وأسس بخلاف الحديث طريقا، ورد أمر المعتقدات إلى العقليات، ولم يعرف شيوخه باتباع الآثار، ولم يأخذ السنة عن أهلها **أو أخذ عنهم ثم خالفهم.**

وهم فرق، والأصول أربعة: القدرية، والمرجئة، والرافضة، والخوارج ثم تشعبت المذاهب من هذه الأربعة، والكل ضلال.

القدرية: فكل من رد الأمر إلى نفسه وادعى قدرته على ما يريد، وزعم أن الله سبحانه لم يقدر المعاصي ولم يكتبها، ولم يردها فهو قدري.

المرجئة: وكل من زعم أن الإيمان قول مفرد، أو قول ومعرفة، أو قول وتصديق، أو معرفة مجردة، أو تصديق مفرد، أو أنه لا يزيد ولا ينقص، فهو مرجيء وبعضهم جهمي.

الروافض : وكل من يبغض أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أو واحداً منهم، وأنكر إمامته وتقدمه وفضله فهو رافضي وكل من تنقص عثمان أو علياً وعائشة ومعاوية وأبا موسى وعمرو بن العاص رضي الله عنهم فهو خارجي .

ومن تنقص بعضهم ولم يتنقص عثمان وعلياً فهو ضال على أي مذهب كان وروي عنه في الخوارج "أنهم كلاب أهل النار" وروي عنه أنه قال:" من أحدث حدثاً في ديننا فهو رد عليه " .وروي عنه عليه السلام: كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة

تاسعا:

الاتباع في العلم وليس في السن

فالمتبع للأثر يجب تقدمه وإكرامه، وإن كان صغير السن غير نسيب، والمخالف له يلزم اجتنابه وإن كان مسنا شريفا.

عاشرا:

تسمية أهل البدع ليحذر منهم من لا يعرفهم

والذين بلي كثير من أهل العلم بهم: المعتزلة، وهم أعداء الأثر وأهله، و كبراؤهم أبو الهذيل العلاف٢، وجعفر بن مبشر٣، والنظام٤، والجاحظ١، وأبو علي الجبائي٢، وابنه أبو هاشم٣، وأبو القاسم الكعبي البلخي٤ وقبل هؤلاء: عمرو بن عبيد١، وواصل بن عطاء٢. وبعدهم: أبو عبد الله البصري٣ وأبو القاسم الواسطي٤. وبعدهما: الصاحب إسماعيل بن عباد١، وعبد الجبار الأسدي٢، كل هؤلاء دعاة إلى الضلالة.

ثم بلي أهل السنة بعد هؤلاء بقوم يدعون أنهم من أهل الاتباع. وضررهم أكثر من ضرر (المعتزلة) وغيرهم، وهم: أبو محمد بن كلاب ، وأبو العباس القلانسي ، وأبو الحسن الأشعري .**وبعدهم:** محمد بن أبي تريد بسجستان وأبو عبد الله بن مجاهد بالبصرة.

وفي وقتنا: أبو بكر بن الباقلاني ببغداد، وأبو إسحاق الاسفرائيني وأبو بكر بن فورك بخراسان فهؤلاء يردون على المعتزلة بعض أقاويلهم. ويردون على أهل الأثر أكثر مما ردّوه على المعتزلة.

الحادي عشر:

نفاق أهل البدع

وظهر بعد هؤلاء: الكرامية ، والسالمية فأتوا بمنكرات من القول. وكلهم أئمة ضلالة يدعون الناس إلى مخالفة السنة وترك الحديث وإذا خاطبهم من له هيبة وحشمة من أهل الاتباع قالوا: الاعتقاد ما تقولونه وإنما نتعلم الكلام لمناظرة الخصوم. والذي يقولونه كذب وإنما يستترون بهذا لئلا يشنع عليهم أصحاب الحديث فمن أنكر قولي فليأت بحديث موافق لما قالوه، ولا يجد إلى ذلك والحمد لله سبيلا. وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" أخاف على أمتي الأئمة المضلين " . ثم قد دخل في مذاهبهم خلق كثير ممن يتظاهر بالفقه والحديث فمنهم من أظهر ذلك وعرف به، ومنهم المنكر أنه منهم في الظاهر، وهو يعضدهم في الباطن، ويثني عليهم في الباطن، **يرضى لنفسه بالكذب والنفاق.**

الثاني عشر :

الجرح المفسر مُقدم على التعديل المُجمل

ويتعلق قوم من المغاربة علينا بأن أبا محمد بن أبي زيد ، وأبا الحسن القابسي قالا: إن الأشعري إمام وإذا بان صحة حكايتهم عن هذين فلا يخلو حالهما من أحد **وجهين:**

أولا: أن يدعى أنهما كانا على مذهبه فلا يحكم بقولهما بإمامته، وإن كانت لهما منزلة كبيرة كما لم يحكم بما يقول ابن الباقلاني وأشكاله .

الثاني: وإما أن يقر بأنهما مخالفان له في الاعتقاد فقولهما بعد ذلك أنه إمام لا يؤثر شيئا يفرح به . وهذه رسالة أبي محمد بن أبي زيد في الفقه، ورسالة الأبي الحسن القابسي في الاعتقاد، موجودتان . فأبو محمد قال في رسالته: ((إن الله فوق عرشه بائن من خلقه)) .وعند الأشعري أن اعتقاد هذا كفر وعندنا أن أبا محمد محق فيما قال، والسنة معه فيه. ولأبي محمد كتاب في إنكار الكلام والجدال والحث على الأثر واتباع السلف . وأبو الحسن القابسي ذكر في كتابه: "إن الاعتماد على السمع ، وإن الكلام والجدال مذموم ، وذكر فيه ((إن لله يدين كما يقول أهل الأثر)) .وعند بعض أصحاب الأشعري أن لله يداً واحدة، ومن قال إن له يدي صفة ذاتيه فهو زائغ.

فبان بما ذكرنا أن هذين الشيخين رحمهما الله إن قالا ما يحكى عنهما من إمامة الأشعري فإنما قالاه لحسن ظنهما به، لتظاهره بالرد على المعتزلة، والروافض، ولم يخبرا مذهبه، **ولو خبراه لما قالا ما قالاه والله أعلم .**

ثالثا: وإذا جاز لأبي محمد أن يخالفه في كرامات الأولياء وفي معنى الاستواء، وغير ذلك، وجاز لأبي محمد مخالفته، والقول بما نطق به الكتاب، وثبت به الأثر **فهو غير قائل بإمامته في السنة.** وبالله التوفيق.

الثالث عشر:

في الحذر من الركون إلى كل أحد، والأخذ من كل كتاب لأن التلبيس قد كثر والكذب على المذاهب قد انتشر

اعلموا رحمنا وإياكم الله سبحانه، أن هذا الفصل من أولى هذه الفصول بالضبط لعموم البلاء، وما يدخل على الناس بإهماله، وذلك أن أحوال أهل الزمان قد اضطربت، والمعتمد فيهم قد عز، ومن يبيع دينه بعرض يسير، أو تحببا إلى من يراه قد كثر والكذب على المذاهب قد انتشر **فالواجب** على كل مسلم يحب الخلاص أن لا يركن إلى كل أحد ولا يعتمد على كل كتاب، ولا يسلم عنانه إلى من أظهر له الموافقة.

فلقد وقفت على رسالة عملها رجل من أهل أصبهان يعرف بابن اللبان وهو حي بعد فيما بلغني، وسماها ((بشرح مقالة الإمام الأوحد أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل) وذكر فيها مذهب الأشعري المخالف لأحمد.

أعطى منها نسخا إلى جماعة يطوفون بها في البلاد، ويقولون هذا إمام من أئمة أصحاب أحمد رحمة الله عليه، قد شرح مقالته ليكتبها العوام ويظنوا صدق الناقل فيقعوا في الضلالة. وأُخرج هذا الرجل من بغداد بهذا السبب وعاد إلى أصبهان، وهو من أصحاب أبي بكر بن الباقلاني ، **وههنا بمكة** معنا من شغله برواية الحديث أكثر وقته و يصيح أنه ليس بأشعري، ثم يقول: رأيت منهم أفاضل ومن التراب تحت رجله أفضل من خلق، وإذا قدم البلد رجل منهم قصده قاضيا لحقه، وإذا دخله رجل من أصحابنا جانبه وحذر منه. وكلما ذكر بين يديه شيخ من شيوخ الحنابلة وقع فيه، وقال: أحمد نبيل لكنه بلي بمن يكذب **وهذا مكر منه لا يحيق إلا به.**

ولو جاز أن يقال: إن أصحاب أحمد كذبوا عليه في الظاهر من مذهبه، والمنصوص له، لساغ أن يقال إن أصحاب مالك والشافعي وغيرهما كذبوا عليهم فيما نقلوه عنهم، وهذا لا يقوله إلا جاهل رقيق الدين قليل الحياء.

ومن الناس من يظهر الرد على الأشعرية ويقول: ما أتكلم في الحرف والصوت. ومن كان هكذا، لم يخل أمره من أحد وجهين:

إما أن يكون غير خبير بمذهب أهل الأثر، وهو يريد التظاهر به تكسباً أو تحبباً.

وإما أن يكون من القوم فيتظاهر بمخالفتهم، ليدلس قولهم فيما يقولونه، فيقبل منه، أو يحسن قبيحهم فيتابع عليه ظناً أنه مخالف لهم، وكثيراً ما يتم على أهل السنة مثل هذا.

الرابع عشر :

كيفية النجاة من الأهواء

فمن رام النجاة من هؤلاء، والسلامة من الأهواء:

أولا: فليكن ميزانه الكتاب، والأثر في كل ما يسمع ويرى فإن كان عالماً بهما عرضه عليهما واتباعه للسلف .

ثانيا : ولا يقبل من أحد قولاً إلا وطالبه على صحته بآية محكمة، أو سنة ثابتة، أو قول صحابي من طريق صحيح.

ثالثا: وليكثر النظر في كتب السنن لمن تقدم مثل: أبي داود السجستاني ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل .. . **وليحذر تصانيف من تغير حالهم** فإن فيها العقارب وربما تعذر الترياق . ولقد قال بعض السلف: سمعت مبتدعاً في قول اجتهد في إخراجه من قلبي وسمعي، ولا يتم لي ذلك ..

الخامس عشر:

بلغ السُنة ولا تجادل فيها

وليكن من قصد من تكلم في السنة اتباعها وقبولها لا مغالبة الخصوم، فإنه يعان بذلك عليهم، وإذا أراد المغالبة ربما غُلب. وقال الحسن "المؤمن ينشر حكمة الله فإن قبلت منه حمد الله، وإن ردت عليه حمد الله" وموضع الحمد في الرد أنه قد وفق لأداء ما عليه. وقال الهيثم بن جميل : قلت لمالك بن أنس يا أبا عبد الله الرجل يكون عالماً بالسنة يجادل عليها؟ **قال: لا**. يخبر بالسنة فإن قبلت منه وإلا أمسك.

وقيل للحسن بن أبي الحسن البصري: نجادلك؟ فقال: لست في شك من ديني .

وقال مالك بن أنس: أكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم لجدله .

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم والمحدثات فإن كل محدثة (بدعة) " .

وقال الأوزاعي : (عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك القول) .

فليحذر كل مسلم مسئول ومناظر من الدخول فيما ينكره على غيره وليجتهد في اتباع السنة، واجتناب المحدثات، كما أمر ، وليعلم أن الله سبحانه لو أراد أن يَكِل الأمر إلى الناس ويأمرهم بالاجتهاد فيه برأيهم لفعل لكنه أبى ذلك، وأمرهم ونهاهم، ثم الزمهم الاجتهاد في القيام بما أمروا به، واجتناب ما نهوا عنه.

وأنا أرجو أن من تأمل هذه الرسالة حق التأمل وجد فيها بتوفيق الله سبحانه شفاء غليله. وأسأل الله تعالى أن يجعل قيامي بها لوجهه خالصاً، وأن ينفع بها من نظر فيها. إنه ولي ذلك والقادر عليه. هـ